أثرُ تقديمِ حروفِ الجر بعضها على بعض في القرآن الكريم

The effect of the introduction of prepositions on each other in the Holy Quran.

م .م . نجاح حسين كطان

Managed Hussein Kitan

Master of Quran Science

كلمات مفتاحية : حروف الجر/ باب التضمين/ القرآن الكريم/ الالصاق

ملخص البحث

إنَّ الفعلَ في كل مجموعة واحد، وتتجدّد له دلالة مع كل حرف يتعدّى به، وهذه المعاني نابعة من الدلالات التي تفيدها حروف الجر من خلال تركيبها مع ذلك الفعل، لا من الفعل وحده. فعلى هذا، يكون لحروف الجر دور بارز في الكشف عن دقائق المعاني من خلال التراكيب، وتعلّق الكلام بعضه ببعض، فتتولّد دلالات مختلفة باختلاف الحروف الداخلة في التركيب. لذلك فإنّ العلماء لمسوا دقة تلك الألفاظ ووضعوها في المكان المناسب لها. فراحوا يعلّلون اختيارها وتقديمها على غيرها بحسّهم اللغوي، لإفادة المعاني المرادة، ساعين من خلال ذلك إلى إظهار جمال التعبير القرآني في استعمال تلك الحروف.

Abstract

The verb in each group is renewed and has significance with each character that transcends it, and these meanings derive from the indications that the letters of the trait benefit by riding them with that verb, not from the verb alone. Thus, the prepositions have a prominent role in the detection the details of meanings through the structures, and join the speech together, and generate different meanings depending on the characters in the composition. Therefore, the scientists touched the accuracy of those words and put them in the right place. So they explained their choice and presented it to others in their sense of language, to benefit the meanings sought, seeking through it to show the beauty of the Koranic expression in the use of them

المقدمة

الحمدُ لله الذي أنزل الكتاب على عبده ولم يجعل له عوجاً، والصلاة والسلام على رسول الله محمد الذي أُنزل عليه القرآن، فكان وما زال وسيبقى معجزة الله الخالدة التي لا تأفل شمسها ولا تخلق على كثرة الردّ، متلوّة بالألسن محفوظة في القلوب محسوسة بالوجدان وعلى آله الطيبين الطاهرين وبعد :

فإنّ القرآن الكريم معقد اهتمام الدارسين للكشف عن مناحي اعجازه في مختلف الفنون، للوقوف على سرّه الكامن ووجهه المعجز. أسراره لا تنقطع وعجائبه لا تنقضي، وما زال يعطيك من سرّه كلّما تلطّفت بالوقوف عليه، فكل من منحه ساعة من وقته أكرمه بذخيرة من جوهره.

وكل جيل يقف على سرّ جديد فيه في مختلف مناحي الحياة، وستجد فيه الأجيال مالم يخطر لنا فيه على بال، إلى أنْ يرث الله الأرض ومن عليها.

وحاول العلماء الوقوف على أسرار هذا السِّفْر القادم من السماء، ومن مجالات أسراره اعجازه في نظمه، إذ إنّه «أورد كل لفظة في مكانها المناسب ببراعة مذهلة وفائقة، والتزم الدقة في مراعاة دلالة الألفاظ وايرادها بطريقة تعجز عنها الخلائق»[١].

إنّ هذا البحث لا يأخذ بالتضمين، ولا يأخذ بتناوب حروف الجر أيضاً للعلة التي ذكرناها، وإنّما ينظر إلى أنّ لكل حرف معناه الذي وضع له في اللغة كما مرّ بنا، لأنّ التراكيب اللغوية يختلف معناها باختلاف حروف الجر الداخلة فيها، فمثلاً الفعل (خرج) يتعدّى بعدّة حروف، فنقول: خرج من الشدة، أي خلص منها، وخرج على السلطان، أي تمرّد عليه وثار، وخرج في العلم والصناعة، أي نبغ فيهما[٢].

وكذلك الفعل (رَغِبَ) يتعدّى بـ(في وعن والى والباء)[٣]، فتقول: رغبتُ في الشيء إذا أردتَه، ورغبتُ عن الشيء إذا لم ترده وزهدتَ فيه[٤]. ورغبتُ إليه في كذا إذا سألته إياه، ورغبت بنفسي عن الشيء إذا ترفعتَ عنه[٥].

وإيضاح ذلك أنّ (رغبت في الشيء) أفاد معنى (أردته)، لأنّ (في) تدلّ على الظرفية[٦] فكأنّ الرغبة صارت مظروفاً والشيء ظرفا لها، و(رغبت عنه) أفاد عدم ارادته، لأنّ (عن) تفيد المجاوزة عن الشيء والانحراف عنه[٧]، وهكذا يقال في المسائل الأخرى، كما سيأتي بيانه إنْ شاء الله.

« إذ كل عدول من تعبير إلى تعبير لابدّ أنْ يصحبه عدول من معنًى إلى معنًى، فالأوجه التعبيرية المتعدّدة إنّما هي صور لأوجه معنوية متعدّدة»[٨].

ومن هنا، كانت دراسة أية جزئية من جزئيات لغة القرآن الكريم، تُعدّ كشفاً عن سِمة من سمات اعجازه. وفيما يأتي أمثلة من ذلك مرتبة في ورودها على حروف المعجم:

المحور الأول / تقديم الباء :

أولا / تقديم (الباء) على (إلى)

من ذلك ما جاء في قوله تعالى -على لسان يوسف عليه السلام-: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي﴾[يوسف: الآية١٠٠].

ذهب جمع من علماء العربية إلى أنّ الباء في الآية الكريمة بمعنى (إلى)، أي: أحسنَ إليّ[٩]. وذهب آخرون إلى تضمين (أحسن) معنى (لطُف) أي: لطف بي[١٠].

والراجح أنّ المسألة ليست من باب تناوب الحروف، ولا من باب التضمين، وإنّما جاءت الباء على بابها في إفادة معنى الالصاق، وهو معنًى لا يفارقها، لذا اقتصر عليه سيبويه(١١).

وذكر الزمخشري أنّ (أحسن) يتعدّى بإلى وبالباء، ولكنه لم يذكر الفرق بينهما(١٢).

كما ذكر أبو حيان، أنّ الأصل في هذا الفعل أنْ يتعدّى بإلى، وقد يتعدّى بالباء نحو قوله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾[الإسراء: الآية٢٣] كما يقال: أساء إليه وبه(١٣).

وذكر الآلوسي مع هذه الآراء رأياً آخر، هو أن المفعول محذوف، أي: أحسن صنعه بي، وعلى هذا فإنّ الباء متعلّقة بالمفعول المحذوف، ولكن فيه حذف المصدر وابقاء معموله، وهو ممنوع عند البصريين(١٤).

وكان الزركشي أقربهم إلى إدراك معنى الباء هنا، إذ ذكر « أنّه يقال: أحسن بي وإليّ، وهي مختلفة المعاني، وأليقها بيوسف عليه السلام (بي)، لأنّه إحسان درج فيه دون أنْ يقصد الغاية التي صار إليها»(١٥). لأنّ التعبير القرآني هو بصدد ذكر بعض مِنن الله التي وضعها به، بدليل تتمّة الآية بعدُ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾.

إنّ الإحسان في (أحسن به) ألصق، إذ أنّ فيه معنى الرعاية واللطف، قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾[القصص: الآية٧٧]، وقال على لسان سيدنا يوسف عليه السلام: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي﴾[يوسف: الآية١٠٠]، ففي الثانية إحسان خاصّ يختلف عن الأول، فإنّ الآية الأولى في عموم الخلق، وإحسان الله إلى الخلق إحسان عام يشترك فيه سيدنا يوسف وبقية الخلق. أمّا قوله: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي﴾ فإنّ فيه إحساناً خاصاً ألصق من الأول، إذ أخرجه من السجن وبوّأه مكانة عالية، وجاء إليه بأهله، وما إلى ذلك من العناية الربانية واللطف»(١٦).

لذا فإنّ التعبير القرآني آثر تعدية (أحسن) بالباء على تعديته بـإلى، لأنّه لم يقصد الغاية التي صار إليها يوسف عليه السلام، كما أنّ اللطف الذي قال به المضمون يمكن أنْ يتأتّى من باء الالصاق، لأنّك عندما تلصق إحسانك بآخر وتجعله متلبساً به فانّك لطفت به، وهذا تحصيل حاصل، فلا حاجة إلى اللجوء إلى التضمين .

ثانيا / تقديم الباء على (في) :

مثال ذلك ما ورد في قوله تعالى في حكاية نوح عليه السلام: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: الآيتان ٦٠-٦١].

نلاحظ أنّ السياق القرآني خالف بين مقولة قوم نوح باستخدام (في) (إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)، وبيّن ردّه عليهم بتقديم حرف الباء (قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ)، ولم يقل: (لست في ضلال أو ليس فيّ ضلال) ليطابق قولُه مقولتهم.

وفي هذا السياق القرآني نلاحظ أنّ جواب نوح عليه السلام فيه تقديمان، الأول: تقديم نحوي، متمثّل بتقديم

(الباء) على (في)، والثاني: تقديم صرفي، متمثّل بتقديم اسم المرة (ضلالة) على المصدر (ضلال).

والعلة في هذا – والله اعلم- إنّ استعمالهم (في) الدالة على الظرفية[١٧]، يعنون أنّ الضلال -حاشاه- أصبح وعاء وظرفاً له منغمساً فيه، يحيط به من كل جانب وهو مظروف له، أرادوا أنّه متمكّن في الضلال غير منفكّ عنه، لذا ناسب مجيء جوابه المنفي بالباء – الدالّة على الإلصاق- تقديماً على (في)، إمعاناً في نفي اقترابه من الضلال ولصوق أدنى ضلالة به، فضلاً عن انغماسه في الضلال أصلاً، وهذا يؤكده مجيء اسم المرة (ضلالة) ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ﴾[١٨]، قال الزمخشري: « فإن قلتَ: لِمَ قال: ﴿لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ﴾ ولم يقل (ضلال) كما قالوا؟ قلتُ: (الضلالة) أخصّ من (الضلال)، فكانت أبلغ في نفي الضلال عن نفسه، كأنّه قال: ليس بي شيء من الضلال، كما لو قيل لك: أَلَك تمر؟ فقلت ما لي تمرة»[١٩].

وفي هذا قال الآلوسي: « إنّه عليه السلام في قوله ﴿لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ﴾ نفيٌ للضلال عن نفسه الكريمة على أبلغ وجه، فإنّ (التاء) للمرة، لأنّ مقام المبالغة في الجواب لقولهم الأحمق يقتضي ذلك، والوحدة المستفادة منه باعتبار أقلّ ما ينطق، فيرجع حاصل المعنى: ليس بي أقل قليل من الضلال فضلاً عن الضلال المبين ... وفي (المَثَل السائر): الأسماء المفردة الواقعة على الجنس التي تكون بينها وبين واحدها تاء التأنيث، متى أُريد النفي كان استعمال واحدها أبلغ، ومتى أُريد الإثبات كان استعمالها أبلغ كما في هذه الآية ... وإنّما بالغ -عليهم السلام- في النفي لمبالغتهم في الإثبات، حيث جعلوه – وحاشاه- مستقراً في الضلال الواضح»[٢٠].

ومبالغتهم تتمثّل بمجيء ثلاثة مؤكدات على كونه – حاشاه- منغمساً في الضلال هي: (إنّ) ولام التوكيد والمجيء بالصفة (مبين)، لذا فإنّ مبالغته في نفي الضلال عنه كانت مناسبة ولائقة جداً بمقولتهم تلك.

وهذا التقديم – أعني تقديم (باء) الالصاق على (في) الظرفية – واسم المرة، ورد في القرآن الكريم في سياق خطاب قوم هود لنبيهم عليه السلام في نفي أي داع يدعو إليه الشك منهم ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾[الأعراف: الآية ٦٦] فجاء ردّه عليهم﴿ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الأعراف: الآية ٦٧].

ومن نافلة القول أنْ أورد ما ذكره الزمخشري في هذا الميدان بقوله: « وفي إجابة الأنبياء عليهم السلام مَن نسبهم إلى الضلال والسفاهة، بما أجابوهم به من الكلام الصادر عن الحِلْم والإغضاء وترك المقابلة، بما قالوا لهم – مع علمهم بأنّ خصومهم أضلّ الناس وأسفههم – أدبٌ حَسَن وخلق عظيم، وحكاية الله عز وجل ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون السفهاء، وكيف يغضّون عنهم ويسبلون أذيالهم على ما يكون منهم»[٢١].

ثالثا / تقديم (الباء) على (من):

مثال هذا التقديم ما ورد في قوله تعالى:﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً * عَيْناً يَشْرَبُ

بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً﴾ [الإنسان: الآيتان ٥-٦].

نلاحظ أنّ الفعل (يشرب) عدّي بـ(من) أولاً فقال: ﴿يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ﴾، ثم آثر السياق القرآني تعديته بالباء ثانياً فقال: ﴿عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا﴾ ولم يقل (عيناً يشرب منها) كما قال أولاً ليتشاكل السياق على نمط واحد.

ولعلماء العربية أقوال في هذه المسألة، فقد قيل إنّ الباء بمعنى (من) التبعيضية، أي يشرب منها، وأثبت لها هذا المعنى الأصمعي وابن قتيبة وأبو علي الفارسي وابن مالك ونُقل عن الكوفيين[٢٢]، واستدلّوا على ذلك بهذه الآية الكريمة، وبقوله تعالى: ﴿عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾[المطففين: الآية ٢٨].

وقيل: إنّ الباء زائدة في الآيتين، والمعنى: يشربها عباد الله ويشربها المقربون [٢٣]، قال الفراء: « يشرب بها ويشربها سواء في المعنى»[٢٤]، واستدلّوا على زيادتها بقراءة ابن أبي عبلة: (يشربها)[٢٥].

وذهب قسم من علماء العربية إلى القول بالتضمين، قال ابن قيم الجوزية: « ... فإنهم يضمّنون (يشرب) معنى (يروي)، فيعدّونه بالباء التي تطلبها، فيكون في ذلك دليل على الفعلين، أحدهما بالتصريح به والثاني بالتضمّين، والإشارة إليه بالحرف الذي يقتضيه مع غاية الاختصار، وهذا من بديع اللغة ومحاسنها وكمالها ... وهذا أحسن من أنْ يقال: (يشرب منها) فانّه لا دلالة فيه على الري، وانْ يقال: (يروي بها) لأنه لا يدلّ على الشرب بصريحه بل باللزوم. فإذا قال: (يشرب بها) دلّ على الشرب بصريحه وعلى الري، بخلاف الباء فتأمّله»[٢٦].

ولا يسلم لابن القيّم قوله: إنّ عبارة (يشرب منها) لا دلالة فيها على الري، لأنّه □ وصف الأبرار بقوله: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ﴾ فعدّى فعل الشرب بـ(من)، فضلاً عن أنّ الشرب في الجنان لا يكون لغرض الارتواء، لأنه لا ظمأ فيها، إذ يقول المولى عز وجل: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلا تَعْرَى * وَأَنَّكَ لا تَظْمَأُ فِيهَا وَلا تَضْحَى﴾ [طـه: الآيتان ١١٨-١١٩]، لأنّ الشرب فيها ضرب من النعيم المقيم[٢٧].

وبعد أنْ ذكر الزركشي أنّ التضمين هو من قبيل الجمع بين الحقيقة والمجاز، ذكر قولاً آخر هو أنْ لا مجاز في الآية الكريمة أصلاً، بل إنّ التعبير جاء على حقيقته لأنّ «العين هاهنا إشارة إلى المكان الذي ينبع منه الماء، لا إلى الماء نفسه، نحو: نزلت بعين، فصار كقوله: مكاناً يُشرب منه»[٢٨].

وعلى هذا المعنى، فالأظهر أنّ الباء هنا ليست بمعنى (من) وليست زائدة، كما أنّ الفعل ليس من باب التضمين، بل إنّ الباء جاءت على بابها في إفادة معنى الإلصاق المكاني، «فقولك: يشربون بالعين، معناه أنّهم يكونون بها، كما تقول: (أقمنا بالعين وأكلنا وشربنا بها)، أي هم قريبون من العين يشربون منها، بخلاف قولك: (يشربون منها)، فإنّه ليس فيه نص على معنى القرب من العين، فقولك: أكلت من تفاح بستانك، لا يدلّ دلالة قاطعة على أنّك كنت بالبستان، بل ربما حُمل إليك.

فقوله: (يشرب بها) يدلّ على أنّهم نازلون بالعين

يشربون منها، فهو يدلّ على القرب والشرب. فالتمتّع حاصل بلذتي النظر والشراب، بخلاف الأولى»[٢٩].

ويمكن أنْ يستفاد من معنى الالصاق أيضاً أنّها ملاصقة لأفواههم، وفيه مزيد مبالغة في وصف النعيم الذي هم حالّون فيه، فهم يشربون من عين يكاد يلاصق ماؤها أفواهَهم من غير بذل أيّ عناء في الشرب، فكأن العين صارت وعاءً للماء، وفي مألوف الاستعمال اللغوي نقول: شربت بالكأس من العين، فتكون الكأس هي الأداة المشروب بها، فتدخل الباء على آلة الشرب، فعباد الله الخلّص يشربون بالعين، فكأن العين صارت بمثابة الكأس لعباد الله، يشربون بها أيضاً ما هو أكبر من العين، وهو السعادة والسرور الأبديان.

وفي ذلك إمعان في نفي وجود أدنى عناء في التمتّع بالنعيم في الجنة، على خلاف المعهود في متع الدنيا. وهذا نظير قوله تعالى في وصف سرر الجنة: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾[الحجر: الآية ٤٧]، ولم يقل: على سرر متجاورين، وذلك لينفي عنهم وجود أي عناء في أنْ يلتفت الأخ إلى أخيه[٣٠].

ويؤيّد هذا ما قاله المفسرون في تتمّة الآية الكريمة: ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً﴾، أي يفجّرونها حيث شاءوا من منازلهم إجراء سهلاً لا يمتنع عليهم[٣١]، فهي قريبة من متناولهم كأنها ملاصقة لأفواههم.

وقد وقف الزمخشري على وجه المخالفة بين تعدية فعل (الشرب) بـ(من) أولاً وبالباء ثانياً فقال: «فإن قلتَ: لِمَ وصل فعل الشرب بحرف الابتداء أولاً وبحرف الإلصاق آخراً؟ قلتُ: لأنّ الكأس مبدأ شربهم وأول غايته، وأمّا العين فبها يمزجون شرابهم، فكأن المعنى: يشرب عباد الله بها الخمر، كما تقول: شربت الماء بالعسل»[٣٢].

كما وقف الدكتور فاضل السامرائي على سرّ المخالفة في التعبير بتقديم (الباء) على (من) في الشربين، ولعل ما ذكره هو أقرب إلى دلالة السياق، إذ إنّ السياق الذي يتحدّث عنه القرآن الكريم هو سياق نعيم، وهذه المخالفة فيه – كما قالوا- راجعة إلى المفارقة بين جزاءي السعداء، إذ إنّ الآيتين تتحدّثان عن صنفين من أهل الجنة، الأول: صنف الأبرار، والآخر سماهم (عباد الله)، وهم أعلى مرتبة ممّن قبلهم، ويتفاضل الناس بمقدار هذه العبودية، فكلّما كان الشخص أكمل في عبوديته هذه وأتمّ كان أقرب إلى سيده، وتطلق هذه الصفة – صفة العبودية- على أعلى الخلق وهم الأنبياء في مقام التشريف، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً﴾ [الجن: الآية ١٩] وقال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾[الإسراء: الآية١] وقال: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً﴾ [الإسراء: الآية ٣].

من هذا يتبيّن أنّ مرتبة الذين سمّاهم (عباد الله) أعلى من مرتبة الأبرار. وقد فرّق بين النعيمين كما فرّق بين الصنفين، فقد وصف نعيم الأبرار بأنهم يشربون من كأس، وإنّ هذه الكأس ليست خالصة بل ممتزجة : ﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً﴾، وأمّا الصنف الآخر- وهم عباد الله- فهم لا يشربون من كأس يؤتى بها،

بل يشربون خالصة من العين، وهي مرتبة أعلى، لذا قال ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ ولم يقل (يشرب منها)، أي: يرتوون بها. وفوق هذا فهم يتمتّعون بلذّة النظر وهم نازلون بالعين.

وهذا التعبير الذي مرّ نظير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ * تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ * يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ * خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ * وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ * عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: الآيات ٢٢- ٢٨].

فذكر صنفين من السعداء، صنف الأبرار وصنف السابقين المقربيّن، وهم أعلى الخلق، فالأبرار يُسقون من رحيق ممزوج بالتسنيم، والتسنيم أعلى شراب في الجنة، في حين قال في الصنف الآخر: ﴿عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾، فالمقربون يشربون من عين التسنيم خالصة، فإنّهم كما أخلصوا أنفسهم وأعمالهم لله أُخلص لهم الشراب، والجزاء من جنس العمل وهم لا يشربون منها، بل يشربون بها[٣٣].

وفضلاً عمّا أفادته الباء من معنى القرب من العين والنزول بها، أو أنّ العين صارت بمثابة آلة شربهم ملاصقة لأفواههم فضلاً عن أبدانهم ملاصقةَ النعيم لصاحبه لا ينفكّ عنه بحال، فإنّ التعبير بها يتسع أيضاً لعباد الله الخلص أنّ الشرب بالعين ليس هو الغاية في النعيم، وإنما العين وسيلة موصلة إلى النعيم كما يشي بذلك النص الكريم.

وإنْ شئت فقدّر محذوفاً، وقل يشربون بها السعادة والنعيم المقيم الذي لا نظير له، لأنّ متع الدنيا ولذائذها غاية في حد ذاتها، فالشرب فيها هو لذات الشرب حتى يحصل الارتواء بعد ظمأ قد حلّ، والشرب في الجنة ليس مقصوداً لذات الارتواء والسلامة من عطب أو هلاك وإنّما هو نعيم مقيم[٣٤]. والعين لا ينقص منها شيء بل هي في تفجير وازدياد. وكل ذلك في معرض التكريم وإعلان الفضل تارة والقرب من الله تارة أخرى[٣٥].

***

المحور الثاني / تقديم (على) :

أولا / تقديم (على) على (إلى):

مثل هذا التقديم قوله تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلا تَأْكُلُونَ * مَا لَكُمْ لا تَنْطِقُونَ * فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْباً بِالْيَمِينِ﴾ [الصافات: الآيات ٩١- ٩٣].

نلاحظ أنّ الفعل (راغ) تعدّى بـ(إلى) الدالة على الغاية[٣٦]، أولاً وبـ(على) الدالة على الاستعلاء ثانياً[٣٧]، ولم يأتِ السياق على وتيرة واحدة بأن يكون: (فراغ إلى آلهتهم ... فراغ إليهم ضرباً) أو (فراغ على آلهتهم ... فراغ عليهم ضرباً) ليطّرد السياق على نمط واحد.

ولابدّ لهذا التقديم من مغزًى. ويمكن تلمّس ذلك من خلال معرفة دلالة الفعل (راغ)، ففي اللسان أنّك تقول: راغ فلان إلى فلان أي مال إليه سراً، ويكون ذلك بانحراف في استخفاء[٣٨]، أي: إنّ إبراهيم عليه السلام تسلّل إلى أصنامهم في خفاء، وكانت غايته الوصول إليها كما أفاده بذلك الحرف (إلى)، فمال مستعلياً عليها ضرباً كما يفهم من استخدام (على).

وقد نبّه الراغب الأصفهاني إلى نكتة تقديم (على) هنا فقال: « راغ فلان إلى فلان، مال نحوه لأمر يريده منه بالاحتيال، قال ... ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْباً بِالْيَمِينِ﴾ أي مال، وحقيقته طَلَبٌ بضرب من الروغان، ونبّه بقوله (على) على معنى الاستعلاء»(٥٦). فكأنه استولى على تلك الأصنام وقهرها.

ووقف محمد الأمين الخضري عند سرّ هذا التقديم فقال: « فلمّا كان قوله: ﴿فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ﴾ يعبّر عن قصد إبراهيم إلى أصنامهم والسعي إليها خفية جيء بـ(إلى) معبّرة عن انتهائه إليها، ومشيرة إلى جعل وصوله إليها غاية لا يلوي معها على شيء، حتى يحقّق ما عزم عليه، ثم حين أراد القرآن تصوير ما فعله إبراهيم بآلهتهم وإغارته عليها جيء بـ(على) لتدلّ بمعنى الاستعلاء فيها على تمكّنه منها وقهره لها، وما لحقها من آثار التدمير»[٣٩].

ومن هذا تظهر حكمة التعبير القرآني بتقديم حرف الاستعلاء (على) على حرف الغاية (إلى)، لأنّ المعنى هنا يتطلّب ذلك، لما في (على)، من معنى الاستيلاء والقهر، وهو ينهال عليها ضرباً بكل ما أُوتي من قوة كما تنبئ عن ذلك كلمة (باليمين).

وهذا ينطلق من حقيقة (على) التي تدلّ على الاستعلاء، تقول: هذا على ظهر الجبل، وعلينا أمير، وعليه دَين، لأنّه شيء اعتلاه[٤٠].

ومن هذا القبيل: أعني تقديم (على) على (إلى) ما ورد في قوله تعالى: (فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ * أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ﴾ [القلم: الآيتان ٢١-٢٢].

ففي المعهود اللغوي أنّ (غدا) يتعدّى بـ(إلى)، ففي المعجم الوسيط: يقال: غدا إلى كذا إذا أصبح إليه[٤١]، ولكن التعبير القرآني آثر (على) هنا.

وقد تساءل الزمخشري عن سرّ هذا التقديم فقال: « هلا قيل: اغدوا إلى حرثكم، وما معنى (على)؟ قلتُ: لمّا كان الغدوّ إليه ليصرموه ويقطعوه، كان غدوّاً عليه، كما تقول: غدا عليهم العدوّ. ويجوز أنْ يتضمّن (الغدو) معنى الاقبال ... أي: فأقبلوا على حرثكم باكرين»[٤٢].

ولم يسلم للزمخشري عند أبي حيان أنّ (غدا) يتعدّى بـ(إلى)، وتعقبه بقوله: «واستسلف الزمخشري أنّ (غدا) يتعدّى بـ(إلى)، ويحتاج ذلك إلى نقل، بحيث يكثر ذلك فيصير أصلاً فيه، ويُتأوّل ما خالفه، والذي في حفظي أنه يتعدّى بـ(على)...»[٤٣]. وهذا ما ورد في القاموس المحيط، أنّك تقول: غدا عليه غُدُوّاً[٤٤].

ويجوز عند الآلوسي « أنْ يكون من (غدا عليه) إذا غار، بأن يكون قد شبّه غدوّهم لقطع الثمار بغدوّ الجيش على شيء، لأنّ معنى الاستعلاء والاستيلاء موجود فيه، وهو الصرم والقطع»(٦٣).

وهذا المعنى مستفاد من دلالة (على).

وقد وقف الخطيب الاسكافي على الفرق بين (أُنزل إلينا) و(أُنزل علينا) في قوله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾[البقرة: الآية١٣٦]، وقوله: (قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾[آل عمران: الآية٨٤]. خلاصته أنّ كل حرف جاء في المكان الذي يقتضيه المعنى، إذ أنّ (على) للاستعلاء، وهي موضوعة لكون الشيء فوق الشيء، وهي مختصّة من الجهات

كلها بجهة واحدة هي الفوقية، وأمّا (إلى) فهي لانتهاء الغاية من أية جهة أتيت، فلا تتخصّص بجهة واحدة كما تتخصّص (على)[٤٥].

لذا يترجّح ممّا سبق أنّ تقديم (على) على (إلى) في غدوهم على الحرث، يُشبه غدوّ الجيش على شيء للاستيلاء والسيطرة عليه، من غير اللجوء إلى القول بتضمين (غدا) معنى (أقبل) لتصحّ تعديته بـ(على).

ثانيا / تقديم (على) على (في) :

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ * أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ * أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: الآيات ٤٥- ٤٧].

نلاحظ في السياق القرآني الكريم أنّ الفعل (أخذ) تعدّى إلى مفعوله الثاني بحرف الجر (في) أولاً فقال: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ﴾ ثمّ آثر السياق عليه الحرف (على) ثانياً فقال: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾. ولكي نحاول الوقوف على سرّ هذا التقديم، نرى من المفيد الوقوف على معنى (الأخذ والتقلب والتخوّف).

فالأخذ هنا بمعنى الإهلاك والمعاقبة[٤٦]، والتقلّب ما يتقلّبون فيه من الأسفار، أي تصرّفهم في أسفارهم[٤٧]. والتخوّف: ظهور الخوف من الإنسان، يقال: تخوّفناهم أي: تنقّصناهم تنقصاً اقتضاه الخوف من الشيء[٤٨]، أي: يأخذهم العذاب وهم متخوّفون، أو على تنقّص، بأنْ ينقصهم شيئاً فشيئاً في أنفسهم وأموالهم حتى يهلكوا[٤٩].

وقد حاول أكثر من ناظر في القرآن الكريم الوقوف على سرّ تقديم (على) على (في) في فعل الأخذ.

فقد ذكر الآلوسي أنّه: « جيء بـ(في) مع التقلّب وبـ(على) مع التخوّف، قيل: لأنّ في التقلّب حركتين، فكان الشخص المتقلّب بينهما، ولا كذلك التخوّف، وقيل: لمّا كان التقلب شاغلاً الإنسان بسائر جوارحه حتى كأنّه محيط به، وهو مظروف فيه جيء بـ(في) معه، والتخوّف أي المخافة إنّما يقوم بعضو من أعضائه فقط، وهو القلب المحيط به بدن الإنسان، فلذا جيء بـ(على) معه، وقيل إنّ (على) بمعنى (مع) ...»[٥٠].

وحاول محمد الأمين الخضري الوقوف على سرّ هذا التنوع في التعبير فقال: « لأنّ تقديم حرف الظرفية مع التقلّب، قصد به الادلال على كمال القدرة الإلهية في الوصول بالانتقام إلى من يريد، مهما بدا للمأخوذ أنّه في كمال القدرة والقوة، ذلك أنّ التقلّب يعني حركة الحياة التي أقبل عليها مقترفو السيئات، ممّا يدلّ على أنّهم في كامل صحتهم وقوّتهم وكمال سلطانهم وجبروتهم، وهم في هذه الحال لا يستطيعون أنْ يفوتوا الله ويعجزوه هرباً، لذلك تناسبَ مجيء الفاصلة القرآنية بعدها قوله: ﴿فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾[٥١].

وذكر أيضاً أنّ سرّ تقديم (على) في قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾. «أنّ الاستعلاء فيها يدلّ على أنّ الله زادهم عذاباً فوق عذاب الخوف وآلامه، وهو بلاء كان قد وقع بهم من قبل، وأصابهم بأمراض الذعر والقلق وافتقار الأمن والطمأنينة، ثم جاء عقابه

وأخْذهم بما اقترفوه بلاءً فوق بلاء، وعذاباً على عذاب»[٥٢]. وهذا المعنى متأتٍ من حقيقة (على) التي تفيد معنى الاستعلاء والقهر والتسلّط.

وكما أفادت (على) هنا معنى القهر والاستعلاء، فهي تفيد أيضاً العلو والتشريف والتفضيل في سياق الخبر كما سيأتي -إن شاء الله- في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدىً أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ [سبأ: الآية٢٤]. ومن هذا تبيّن أنّ كلّ حرف جاء في المكان اللائق به ليدلّ على المعنى المراد.

ثالثا / تقديم (على) على (اللام) :

مثال ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾[البقرة: الآية٢٨٦].

نرى المخالفة بين حرفي الجر (اللام) و(على) في سياق الآية الكريمة (لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ)، ولم يأتِ السياق على نسق واحد بأنْ يكون: (لها ما كسبت ولها ما اكتسبت) أو (عليها ما كسبت وعليها ما اكتسبت).

وعلة ذلك عند المفسرين وعلماء العربية من خلال الاستقراء، أنّ اللام تأتي مع الخير والنفع، و(على) تأتي مع الشر والضرّ غالباً، وذلك انطلاقاً من معنى اللام التي تفيد الاختصاص والملك والاستحقاق[٥٣]. ومن معنى (على) التي تدلّ على الاستعلاء والقهر والاستيلاء. قال ابن جني: « إنّ العرب قد يستعملون (على) في الأفعال الشاقة المستثقَلة، فيقولون: قد سرنا عشراً وبقيت علينا ليلتان، وتقول: حفظت القرآن وبقيت عليّ منه سورتان، وقد صمنا عشرين من الشهر وبقيت علينا عشر، وإنّما اطردت (على) في هذه الأفعال، من حيث كانت (على) في الأصل للاستعلاء.. فلمّا كانت هذه الأحوال كُلَفاً ومشاقَّ تخفض الإنسان وتضعه وتعلوه ... حتى يخنع لها ويخضع لما يتسدّاه منها، كان ذلك من مواضع (على)، ألا تراهم يقولون: هذا لك وهذا عليك، فتستعمل اللام فيما تؤثره و(على) فيما تكرهه؟»[٥٤].

وهذا ما ذهب إليه الزمخشري عند تعرّضه لمعنى الآية الكريمة، أي: ينفعها ما كسبت من خير ويضرّها ما اكتسبت من شر[٥٥].

وفي هذا قال ابن عطية: « جاءت العبارة في الحسنات بـ(لها) من حيث هي ممّا يفرح الانسان بكسبه ويُسرّ فتضاف إلى ملكه، وجاءت في السيئات بـ(عليها) من حيث هي أوزار وأثقال ومتحمّلات صعبة، وهذا كما تقول: لي مال وعليّ دَين»[٥٦].

وهذا المعنى عند الآلوسي على حذف مضاف هو (ثواب) في الأول و(عقاب) في الآخر، أي: لها ثواب ما كسبت وعليها عقاب ما اكتسبت، وذكر أنّ مفسِّر (ما) الأولى (الخير) بدلالة اللام الدالة على النفع، ومفسّر (ما) الثانية الشر بدلالة (على) الدالة على الضرّ[٥٧].

وما ذهب إليه المفسرون قال به أصحاب البلاغة أيضاً، فقد ذكر الشريف المرتضى انّ (على) في بعض المواضع لا تجيء إلاّ لتدلّ على الشر والأمر المكروه، وأمّا (اللام وعن) فعلى خلافها، لأنّهما تستعملان في الخير، فقولهم: (قال عليّ كذا) و(روى عليّ كذا)، فانّه يقال في الشر والكذب والادعاء، أمّا

إذا قيل: (قال عني كذا) و(روى عني كذا) فيكون ذلك في الخير والحقّ[٥٨].

ونلاحظ هذا الاطراد في السياق القرآني – أعني مجيء (اللام) مع النافع و(على) مع الضار غالباً، كما في الآية الكريمة التي نحن بصددها، وكما في قوله تعالى: ﴿مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾[الإسراء: الآية١٥]، وقوله عزّ اسمه: ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾[هود: الآية٤٠]، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾[الأنبياء: الآية ١٠١].

ومجيء هذه المخالفة بين المعنيين المتضادين أو المتقابلين في الجملة، أطلق عليه البلاغيون الطباق أو التضادّ[٥٩].

والملاحظ أيضاً أنَّ التعبير القرآني في الآية الكريمة، خالف بين تصريفي الفعلين (كسب واكتسب).

وقد وقف الزمخشري عند سرِّ هذه المخالفة فقال: « إنْ قلتَ: لِمَ خصّ الخير بالكسب والشرّ بالاكتساب؟ قلتُ: في (الاكتساب) اعتمال، فلمّا كان الشر ممّا تشتهيه النفس وهي منجذبة إليه وأمّارة به، كانت في تحصيله أعمل وأجدّ، فجُعلت لذلك مكتسِبة فيه، ولمّا لم تكن كذلك في باب الخير وُصِفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال»[٦٠].

وإلى ما في صيغة (اكتسب) من الاعتمال والتكلّف ذهب ابن عطية[٦١] وأبو حيان[٦٢]، إذ إنّ زيادة بناء الفعل تدلّ على التكلّف في العمل.

جاء في الخصائص في باب (قوة اللفظ لقوة المعنى) في الآية الكريمة «إن كسْب الحسنة بالإضافة إلى اكتساب السيئة أمر يسير مُستصغر، وذلك لقوله عزّ اسمه: (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾[الأنعام: الآية١٦٠]، أَفَلا ترى أنّ الحسنة تصغر بإضافتها إلى جزائها صَغْر الواحد إلى العشرة؟ ولما كان جزاء السيئة إنمّا هو بمثلها لم تُحتقر إلى الجزاء عنها، فعُلم بذلك قوّة فعل السيئة على فعل الحسنة ... فإذا كان فعل السيئة ذاهباً بصاحبه إلى هذه الغاية البعيدة المترامية، عُظِّم قدرها وفُخِّم لفظ العبارة عنها ... فزيد في لفظ فعل السيئة وانتُقِص من لفظ فعل الحسنة لمّا ذكرنا»[٦٣].

وفي هذا قال الزركشي: « واعلم أنّ اللفظ إذا كان على وزن من الأوزان، ثم نُقل إلى وزن آخر أعلى منه، فلا بدّ أنْ يتضمّن من المعنى أكثر ممّا تضمّنه أولاً، لأنّ الألفاظ أدلّة المعاني، فإذا زِيدت الألفاظ وجب زيادة المعاني ضرورة»[٦٤].

وعند الجوهري إنّ (كسب واكتسب) كلاهما بمعنًى[٦٥].

وتابع في ذلك أبو حيان فقال: «الصحيح عند أهل اللغة أنّ (الكسب والاكتساب) واحد، والقرآن ناطق بذلك، قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر: الآية ٣٨]، وقال: (لا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾ [الأنعام: الآية١٦٤]، وقال: (بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾[البقرة: الآية٨١]، وقال: (بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا)[الأحزاب: الآية٥٨]. ومنهم من فرّق، فقال الاكتساب أخصّ من الكسب، لأنّ الكسب ينقسم إلى كسب لنفسه ولغيره، والاكتساب لا يكون إلاّ لنفسه»[٦٦].

والراجح ما ذهب إليه المفرّقون بين الصيغتين من

أنّ تكثير اللفظ لتكثير المعنى، وهو ما ذهب إليه إمام العربية سيبويه[٦٧]: « ولاشكّ أنّه لو لم يختلف المعنى لم تختلف الصيغة، إذ كل عدول عن صيغة إلى أخرى لابد أنْ يصحبه عدول عن معنًى إلى آخر إلاّ إذا كان ذلك لغة»[٦٨].

ثالثا / تقديم (على) على (مِن) :

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: الآيات ١-٣].

معنى الآية الكريمة: إذا أخذوا من الناس ما أخذوا بحكم الشراء ونحوه كيلاً يأخذونه وافياً وافراً، و(إذا كالوهم) أي كالوا لهم أو وزنوا لهم للبيع يُنقصون[٦٩].

ذهب كثير من المفسرين وعلماء العربية إلى أنّ (على) بمعنى (من) في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ أي اكتالوا من الناس لأنفسهم[٧٠]. وهو ما ذكره ابن منظور عن ثعلب الكوفي[٧١].

وقيل: ضُمِّن الفعل (اكتالوا) معنى استولوا وتسلطوا، لذا عُدي بـ(على)، جاء في روح المعاني: إنّ تقديم (على) هنا على (من) قيل: لتضمين الاكتيال معنى الاستيلاء، أو للإشارة إلى أنّه اكتيال مضرّ للناس[٧٢].

والظاهر أنّ (على) هنا على بابها لإفادة معنى الاستعلاء والاستيلاء والتسلّط.

وبسببٍ من إفادة (على) هذا المعنى وضع الزمخشري يده على السر في تقديمها على (من) فقال: «لما كان اكتيالهم من الناس اكتيالاً يضرّهم ويُتحامل فيه عليهم أبدل (على) مكان (من) للدلالة على ذلك»[٧٣].

وعلى هذا فإنّ (على) تتعلّق بـ(اكتالوا)، وأجاز أنْ تتعلق بـ(يستوفون)، ويقدّم المفعول على الفعل لإفادة الاختصاص، أي: يستوفون على الناس خاصة، فأمّا أنفسهم فيستوفون لها[٧٤].

والقول بأنّ (على) بمعنى (من) لا يفيد المعنى الذي يفيده القول بأنّ (على) على بابها في إفادة معنى الجور والظلم.

وقد وقف الدكتور فاضل السامرائي على الفرق بينهما في هذا الموضع فقال: « إنّ هناك فرقاً بين قولك: (اكتال منه واكتال عليه)، فـ(اكتال منه) لا يفيد أنه ظلمه حقه وهضمه ماله، بخلاف (اكتال عليه)، فإن فيه معنى التسلط والاستعلاء ... فهم إذا أخذوا منهم أخذوا أكثر من حقهم، وإذا أعطوهم أعطوهم أقل من حقهم، ففيه إذن معنى التحكم والجور والظلم، وهو أبلغ من (مِن) ولا تفيد (من) هذا المعنى»[٧٥].

وهذا ينطلق من حقيقة (على) التي تفيد الاستعلاء، ويفهم منها معنى الاستيلاء والثقل، فهم يقولون: فلان عليه دَين وعليه قصاص، كأنّما هذه أثقال يحملها على عنقه وعلى ظهره، ويقولون: هو على ضلال، أي: أنّه امتطى الضلال واتخذه مركباً يقوده إلى السوء[٧٦].

***

المحور الثالث / تقديم (عن) :

أولا / تقديم (عن) على (على) :

من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ

نَفْسِهِ﴾[محمد: الآية٣٨].

قيل: إنّ (عن) هنا بمعنى (على) التي تفيد الاستعلاء، أي: يبخل على نفسه[٧٧].

وقيل: بل هي على بابها لإفادة معنى المجاوزة، أي: يبعد الخير عن نفسه بالبخل[٧٨]. أو لا يتعدّى ضرر بخله إلى غير نفسه[٧٩].

والأصل في (بخل) أنْ يتعدّى بالباء، تقول بخل الرجل بكذا[٨٠]، ومنه قوله تعالى: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ﴾[آل عمران: الآية١٨٠] و﴿فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ﴾[التوبة: الآية٧٦].

وذكر المفسرون في قوله تعالى: (فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ) أنّه يقال: بخلت عليه وبخلت عنه[٨١]، وعلّة تعديته هنا بـ(عن) عند الآلوسي أنّ (البخل) فيه معنى المنع ومعنى التضييق على مَن مُنِع عنه المعروف، لذا ناسب أنْ يعدّى بـ(عن)[٨٢] تقديماً على (على) لإفادة هذا المعنى، لِـ» أنّ ثمة فرقاً بين قولك: (يبخل على نفسه) و(يبخل عن نفسه)، فقولك (يبخل على نفسه) معناه أنّ عاقبة بخله تعود عليه، كقوله تعالى:﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾[البقرة: الآية٢٨٦]. لمّا كانت العاقبة سوءًا جيء بـ(على) وكقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾[يونس: الآية٢٣]، ويحتمل معنًى آخر، هو أنّه لا ينفق على نفسه، أي يثقلها بالبخل، فكأنّ البخل حمل يعلوه.

وأمّا (بخله عن نفسه) فمعناه: إنّه يبخل منصرفاً عن نفسه، أي منصرفاً عن مصلحة نفسه مبتعداً عنها. فإنّ البخل في الحقيقة ابتعاد عن مصلحة النفس، فكأنه يبتعد عن نفسه بالبخل بخلاف الانفاق فانّه لها»[٨٣].

وعلى هذا، فإنّ معنى المجاوزة والابتعاد عن النفس ظاهر في تقديم (عن)، وهو أشهر معانيها، فضلاً عن أنّ البصريين لم يثبتوا لها غير هذا المعنى[٨٤].

ثانيا / تقديم (عن) على (من) :

مثال ذلك ما ورد في قوله تعالى – وهو يذكر مقولة إبليس-: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: الآيتان ١٦- ١٧].

نلاحظ أنّ التعبير القرآني المعجز قد غاير في تعدية الفعل (أتى)، فعدّاه في الموضع الأول بـ(من) فقال: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾، ثم آثر عليه (عن) في الموضع الثاني فقال:(وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ولم يطرّد السياق على نمط واحد بأنْ يكون (من أيمانهم ومن شمائلهم) كما قال في الموضع الأول.

ولكي نقف على سرّ هذا التقديم ينبغي الوقوف على دلالة كل من (عن ومن).

وقد مرَّ بنا أنَّ (عن) تفيد المجاوزة، وايضاح ذلك كما ذكر سيبويه «أنّك تقول: أطعمه عن جوع [أي] جعل الجوع منصرفاً تاركاً له قد جاوزه ... وتقول: جلس عن يمينه [أي] فجعله متراخياً عن بدنه، وجعله في المكان الذي بحيال يمينه ... وتقول: أضربتُ عنه وأعرضتُ عنه وانصرف عنه إنمّا تريد أنّه تراخى عنه وجاوزه إلى غيره»[٨٥].

أمّا (من) فتفيد معنى ابتداء الغاية[٨٦]، فلمّا كانت

(من) تفيد هذا المعنى، فهذا يعني أنّ مبدأ اتيان إبليس كان من تلكما الجهتين: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾، ولمّا كانت (عن) تفيد المجاوزة، كان معناه أنّ إبليس أتاهما منحرفاً عنهما متجاوزاً لهما[٨٧]: ﴿عَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾.

وأوضح ذلك الزمخشري بقوله: « فإنْ قلتَ: كيف قيل: ﴿مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾، بحرف الابتداء (وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾. بحرف المجاوزة؟ قلتُ: المفعول فيه عُدِّي إليه الفعل نحو تعديته إلى المفعول به، فكما اختلفت حروف التعدية في ذاك اختلفت في هذا. وكانت لغة تؤخذ ولا تُقاس. وإنّما يُفتش عن صحة موقعها فقط، فلمّا سمعناهم يقولون: جلس عن يمينه وعلى يمينه، وعن شماله وعلى شماله، قلنا: معنى (على يمينه) أنّه تمكّن من جهة اليمين تمكّن المستعلي من المُستعلى عليه، ومعنى (عن يمينه) أنّه جلس متجافياً عن صاحب اليمين منحرفاً عنه غير ملاصق له. ثم كثر حتى أُستعمل في المتجافي وغيره»[٨٨].

ولم يكتفِ الزمخشري بالوقوف على سرّ هذا التقديم فقط، وإنّما وقف عند حدود صحة التركيب. وقد تعقّبه أبو حيان محاولاً الكشف عن نكتة هذا التقديم فقال: «وهذا الكلام لا بأس به، وإنّما خصّ (بين الأيدي والخلف) بحرف الابتداء الذي هو أمكن في الإتيان، لأنّهما أغلب ما يجيء العدو منهما فينال فرصته، وقدّم (بين الأيدي) على (الخَلْف) لأنّها الجهة التي تدلّ على إقدام العدو وبسالته في مواجهة قِرْنه غير خائف منه، و(الخَلْف) جهة غدر ومخاتلة، وجهالة القِرن بمن يغتاله ويتطلّب غرته وغفلته. وخصّ (الأيمان والشمائل) بالحرف الذي يدلّ على المجاوزة، لأنّهما ليستا بأغلب ما يأتي منهما العدو، وإنّما يتجاوز إتيانه إلى الجهة التي هي أغلب في ذلك. وقُدّمتْ (الأيمان) على (الشمائل) لأنّها الجهة التي هي أقوى في ملاقاة العدو، و(بالأيمان) البطش والدفع، فالقِرْن الذي يأتي من جهتها أبسل وأشجع، إذ جاء من الجهة التي هي أقوى في الدفع، و(الشمائل) جهة ليست في القوة والدفع كالأيمان»[٨٩].

وللرازي تعليل لطيف في تقديم (عن) على (من)، وهو أنّ (اليمين والشمال) فيهما ملَكان لقوله تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [قّ: الآية ١٧]، لذلك فإنّ إبليس يتجاوزهما ويتجافى عنهما. ومن هذا يتبيّن أنّه حضر على هاتين الجهتين ملكان ولم يحضرا في القدّام والخلف، والشيطان يتباعد عن الملَك، فلهذه النكتة خصّ التعبير القرآني اليمين والشمال بالحرف (عن) لأجل افادتها البعد والمباينة[٩٠].

والآية الكريمة تنصّ على أنّ إبليس توعّد المؤمنين، بأنّه سيأتيهم من الجهات الأربع، التي يأتي منها العدو في الغالب، وهذا تمثيل لوسوسته إليهم وتسويله ما أمكنه ذلك وقَدِر عليه[٩١].

كما يمكن أنْ يشي النص الكريم، بأنّ حركة الشيطان في إغواء الناس تختلف باختلاف قوة إيمانهم ويقظتهم، فاختلفت بموجب ذلك جهات إقدامه عليهم، فالغافل المفرِط في الغفلة يواجهه من أمامه فيستحوذ عليه، ثم يليه من كان دون ذلك في الغفلة، فيتدسّس

له من خلفه، أمّا المؤمن اليقظ فحسبه أنْ يتجاوزه عن يمينه وشماله متجافياً عنه غير ملتصق به، فضلاً عن وجود ملَكين عن اليمين والشمال يقتضي تجاوزهما[٩٢].

***

المحور الرابع / تقديم (في):

وسأكتفي في البحث في تقديم (في) على (على):

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾[طـه: الآية٧١].

ذهب الكوفيون ومن تابعهم إلى أنّ (في) هنا بمعنى (على)، أي: لأصلبنكم على جذوع النخل، لأنّ الصلب يكون على الجذوع وليس فيها[٩٣].واستشهدوا على ذلك بقول عنترة:

بَطَلٌ كأنّ ثيابه في سَرْحَةٍ

يُحذى نِعال السِّبت ليس بتوأمِ[٩٤]

أي: على سرحة، والسرحة الشجرة العظيمة الطويلة[٩٥].

وبقول الآخر:

وهم صلبوا العبديّ في جذع نخلةٍ

فلا عطستْ شيبانُ إلا بأجدعا[٩٦]

أي: على جذع نخلة.

وعلّل الفراء استخدام (على) أو (في) في الآية الكريمة بقوله: « يصلح (على) موضع (في)، وإنّما صلحت (في) لأنّه يُرفع في الخشبة في طولها، وصلحت (على) لأنّه يُرفع فيها فيصير عليها»[٩٧].

وذكر الزركشي السرّ في تقديم (في) قال: « ولم يقل (على) كما ظنّ بعضهم، لأنّ (على) للاستعلاء، والمصلوب لا يُجعل على رؤوس النخل وإنّما يُصلب في وسطها، فكانت (في) أحسن من (على)»[٩٨].

وذهب ابن يعيش هذا المذهب، إلاّ أنّ ذلك عنده على تضمين الصلب معنى الاستقرار والتمكّن، فذكر أنّ (في): « ليست في معنى (على) على ما يظنه من لا تحقيق عنده، ولمّا كان الصلب بمعنى الاستقرار والتمكّن عُدّي بـ(في) كما يُعدّى الاستقرار، فكما يقال: تمكّن في الشجرة، كذلك ما هو في معناه ... فهو من قبيل الفعلين أحدهما في معنى الآخر»[٩٩].

والتحقيق أنّ (في) هنا ليست بمعنى (على)، وليس الكلام من باب التضمين أيضاً، وإنّما هي على بابها في إفادة الظرفية. إذ أنّها تفيد الظرفية حقيقةً أم مجازاً، كذا قرّر النحاة[١٠٠]. ووجه ذلك أنّه شبّه تمكّن المصلوب في الجذع بتمكّن الشيء الموعى في وعائه، ودلّت (في) على إبقائهم على جذوع النخل زماناً طويلاً، وتشبيه استمرارهم على الجذوع باستقرار الظرف في المظروف المشتمل عليه[١٠١]، فصار الجذع للمصلوب بمنزلة القبر للمقبور على سبيل المجاز[١٠٢]. بل ساق أبو حيان خبراً مفاده أنّ (في) على بابها في إفادة الظرفية حقيقةً بأنْ « نقر فرعون الخشب وصلبهم في داخله، فصار ظرفاً لهم حقيقة حتى يموتوا فيه جوعاً وعطشاً»[١٠٣].

ومن تقديم (في) على (على) ما ورد في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدىً أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾[سبأ: الآية ٢٤].

نلاحظ أنّ السياق القرآني خالف بين حرفي الجر

(على) و(في)، فاستعمل (على) مع الهدى فقال: ﴿لَعَلَى هُدىً﴾ ثم آثر عليه (في) مع الضلال فقال: ﴿أَوْ فِي ضَلالٍ﴾ ولو جرى السياق على نمط واحد لقال: (لعلى هدًى أو على ضلال). ولابدّ لهذه المخالفة بين الحرفين من مغزًى.

وقد وقف الزمخشري على نكتة هذا التقديم فقال: « فإن قلتَ: كيف خولف بين حرفي الجر الداخلين على الحق والضلال؟ قلتُ: لأنّ صاحب الحق كأنّه مستعلٍ على فرس جواد يركّضه حيث شاء، والضّال كأنّه منغمس في ظلام مرتبك فيه لا يدري أين يتوجّه»(١٠٤).

وهذه الصورة التي رسمها التعبير القرآني منطلقة من حقيقة (على) الدالة على الاستعلاء، و(في) الدالة على الظرفية أو الوعاء.

وقد وقف بعضهم على السر في استعمال الأداة (على) عند تفسيره قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ﴾[البقرة: الآية٥] فقال: « في أداة (على) سرّ لطيف، وهو الإشعار بكون السالك على هذا الصراط على هدًى وهو حق، كما قال في حق المؤمنين: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ [النمل: الآية ٧٩] والله عزوجل هو الحق، وصراطه حق ودينه حق، فمن استقام على صراطه فهو الحق والهدى، فكان في أداة (على) على هذا المعنى ما ليس في أداة (إلى)، فتأمّله فانّه سرّ بديع. فإنْ قلتَ: فما الفائدة في ذكر (على) في ذلك أيضاً؟ وكيف يكون المؤمن مستعلياً على الحق وعلى الهدى؟ قلتُ: لما فيه من استعلائه وعلّوه بالحق والهدى مع ثباته عليه واستقامته إليه، فكان في الإتيان بأداة (على) ما يدلّ على علّوه وثبوته واستقامته، وهذا بخلاف الضلال والريب، فإنّه يؤتى فيه بأداة (في)، الدالّة على انغماس صاحبه فيه، كقوله تعالى: ﴿فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾[التوبة: الآية٤٥]، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ﴾[الأنعام: الآية٣٩]، وقوله: ﴿فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ﴾[المؤمنون: الآية ٥٤]، وقوله: ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾[هود: الآية١١٠]. وتأمّل قوله: ﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدىً أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾[سبأ: الآية ٢٤]، فإن طريق الحق تأخذ علّواً صاعدة بصاحبها إلى العلي الكبير، وطريق الضلال تأخذ سفلاً هاوية بسالكها في أسفل سافلين»(١٠٥).

والتعبير القرآني في هذا رسم صورة حسيّة لصاحبي الحق والضلال، فالأول، عالي المكانة والمقام، يرقب الأشياء بنظره وينفسح أمامه الأفق، فيرى الأشياء على حقائقها، بل هو مستعلٍ على نوازع السقوط والتسفّل، على النقيض من الثاني الساقط في مهاوي الضلال المنغمس في لجّة الظلام، لا يستبين طريقه ولا يدري أين يتوجّه، بل هو متخبّط الفكر ممزّق النفس مسلوب الإرادة(١٠٦).

وآخر دعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين.

الهوامش

١- البيان والتبيين: ٢٠/١.

٢- ينظر: تناوب حروف الجر: ١٧.

٣- المعجم الوسيط: (خرج): ٢٢٤.

٤- من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم: ١٧.

٥- الصحاح: (رغب): ١٣٧/١.

٦- المعجم الوسيط: (رغب): ٣٥٦.

٧- ينظر: الجنى الداني: ٢٥٠؛ ومغني اللبيب: ١٦٨/١.

٨- الجنى الداني: ٢٤٥؛ ومغني اللبيب: ١٤٧/١.

٩- معاني النحو: ٩/١.

١٠- ينظر: الكشاف: ٥٠٦/٢؛ والتبيان في إعراب القرآن: ٧٤٦/٢؛ والجنى الداني: ٤٥؛ ومغني اللبيب: ١٠٦/١؛ وروح المعاني: ١٣/ ٥٩؛ ومعاني النحو: ٣/ ٢٥.

١١- ينظر: الجنى الداني: ٤٥؛ ومغني اللبيب: ١٠٦/١؛ وروح المعاني: ٥٩/١٣؛ وتناوب حروف الجر: ٨٨.

١٢- الكتاب: ٢١٧/٤؛ وينظر: الجنى الداني: ٣٦؛ ومغني اللبيب: ١٠١/١.

١٣- الكشاف: ٢/ ٥٠٦.

١٤- البحر المحيط: ٣٤٢/٥.

١٥- روح المعاني: ١٣/ ٥٩.

١٦- البرهان في علوم القرآن: ١٠٩/٤.

١٧- معاني النحو: ٣/ ٢٥- ٢٦.

١٨- ينظر: الكتاب: ٤/ ٢٢٦؛ والمقتضب: ١٣٩/٤؛ والجنى الداني: ٢٥٠؛ ومغني اللبيب: ١/ ١٦٨.

١٩- ينظر: من أسرار حروف الجر: ٦٩؛ وينظر: الاعجاز البياني في العدول النحوي السياقي في القرآن الكريم: ١٣٩.

٢٠- الكشاف: ١١٣/٢؛ وينظر: الانتصاف من الكشاف: ١١٣/٢.

٢١- روح المعاني: ٨/ ١٥٠- ١٥١.

٢٢- الكشاف: ٢/ ١١٦- ١١٧.

٢٣- ينظر: الجنى الداني: ٤٣؛ ومغني اللبيب: ١/ ١٠٥؛ وشرح التصريح على التوضيح: ١٣/٢.

٢٤- ينظر: تأويل مشكل القرآن: ٥٧٥؛ والبحر المحيط: ٨/ ٣٨٧؛ والبرهان في علوم القرآن: ٤/ ١٥٤؛ وروح المعاني: ٢٩/ ١٩٥.

٢٥- معاني القرآن: للفراء: ٣/ ٢١٥.

٢٦- البحر المحيط: ٣٨٧/٨؛ وروح المعاني: ٢٩/ ١٩٥؛ وينظر: معجم القراءات القرآنية: ٢١/٨.

٢٧- بدائع الفوائد: ٢١/٢؛ وينظر: البحر المحيط: ٨/ ٣٨٧.

٢٨- ينظر: الاعجاز البياني في العدول النحوي: ١٤٧.
٢٩- البرهان في علوم القرآن: ٣/ ٢١١.
٣٠- معاني النحو: ٣/ ٢٥؛ وينظر: التعبير القرآني: ١٩٠.
٣١- ينظر: الاعجاز البياني في العدول النحوي: ١٤٩.
٣٢- ينظر: الكشاف: ٦٦٨/٤؛ والبحر المحيط: ٨/ ٣٨٨؛ وروح المعاني: ٢٩/ ١٩٥.
٣٣- الكشاف: ٤/ ٦٦٨.
٣٤- التعبير القرآني: ١٩٠- ١٩١.
٣٥- ينظر: الاعجاز البياني في العدول النحوي: ١٤٩.
٣٦- ينظر: في ظلال القرآن: ٣٩٧/٨.
٣٧- ينظر: الجنى الداني: ٣٨٥؛ ومغني اللبيب: ٧٤/١.
٣٨- ينظر: الجنى الداني: ٤٧٦؛ ومغني اللبيب: ١/ ١٤٣.
٣٩- لسان العرب: (روغ): ٣٩٣/٥.
٤٠- معجم مفردات ألفاظ القرآن: ٢٣٣ .
٤١- من أسرار حروف الجر: ٢٤١؛ وينظر: الاعجاز البياني في العدول النحوي: ١٥٤.
٤٢- الكتاب: ٤/ ٢٣٠؛ وينظر: المقتضب: ٤٦/١؛ وشرح المفصل: ٣٧/٨.
٤٣- المعجم الوسيط (غدا): ٦٤٦.
٤٤- الكشاف: ٤/ ٥٩٠.
٤٥- البحر المحيط: ٨/ ٣٠٦.
٤٦- القاموس المحيط: (غدوة): ٣٦٩/٤.
٤٧- روح المعاني: ٢٩/ ٣٧.
٤٨- درة التنزيل وغرة التأويل: ٣٥، ٤,٣.
٤٩- لسان العرب (أخذ): ٨٤٦/٢؛ وينظر: البحر المحيط: ٥/ ٤٧٩.
٥٠- معاني القرآن واعرابه: للزجاج: ٣/ ٢٠١؛ وإعراب القرآن: للنحاس: ٣٩٧/٢.
٥١- معجم مفردات ألفاظ القرآن: ١٨٠.
٥٢- ينظر: معاني القرآن وإعرابه: للزجاج: ٢٠١/٣؛ والكشاف: ٦٠٨/٢.
٥٣- روح المعاني: ١٤/ ١٥٢- ١٥٣.
٥٤- من أسرار حروف الجر: ٦٩.
٥٥- م.ن.؛ وينظر: الاعجاز البياني في العدول النحوي: ١٣٨.
٥٦- ينظر: الجنى الداني: ٩٦؛ ومغني اللبيب: ٢٠٨/١.
٥٧- الخصائص: ٢٧٠/٢- ٢٧١؛ وينظر: لسان العرب (علا): ٨/ ٥٣٢؛ والمقتضب: ٤٦/١، ٥١.

٥٨- الكشاف: ٣٣٢/١.
٥٩- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١/ ٣٩٣.
٦٠- روح المعاني: ٦٩/٣.
٦١- أمالي المرتضى:٣٥٢/١؛وينظر:نظرية الحروف العاملة ومبناها وطبيعة استعمالها القرآني بلاغياً:١٦٦.
٦٢- ينظر: مفتاح العلوم: ٢٠٠؛ والإيضاح في علوم البلاغة: ١٩٢؛ وفتح منزل المباني بشرح أقصى الأماني في البيان والبديع والمعاني: ٦٣؛ ومعترك الأقران في اعجاز القرآن: ٣١٤/١؛ وجواهر البلاغة: ٣٦٦.
٦٣- الكشاف: ٣٣٢/١.
٦٤- المحرر الوجيز: ٣٩٣/١.
٦٥- البحر المحيط: ٣٨٢/٢.
٦٦- الخصائص: ٢٦٤/٣- ٢٦٥؛ وينظر: لسان العرب (كسب): ١/ ٦٥٦- ٦٥٧.
٦٧- البرهان في علوم القرآن: ٤٣/٣.
٦٨- الصحاح (كسب): ٢١٢/١؛ وينظر: مختار الصحاح (كسب): ٥٧٠.
٦٩- البحر المحيط: ٢/ ٣٨١- ٣٨٢.
٧٠- ينظر: الكتاب: ٤/ ٧٤.
٧١- معاني الأبنية في العربية:٧.
٧٢- روح المعاني: ٣٠/ ٨٧، ٨٨.
٧٣- ينظر: معاني القرآن: للفراء: ٣/ ٢٤٦؛ وتأويل مشكل القرآن: ٣٧٩؛ ومعاني القرآن واعرابه: للزجاج: ٢٩٧/٥؛ ومغني اللبيب: ١٤٤/١؛ ولسان العرب (كيل): ٦/ ٦٧٤.
٧٤- ينظر: لسان العرب (كيل): ٦٧٤/٦.
٧٥- روح المعاني: ٣٠/ ٨٧؛ وينظر: شرح الدماميني على مغني اللبيب: ١/ ٢٨٩.
٧٦- الكشاف: ٤/ ٧١٩؛ وينظر: روح المعاني: ٣٠/ ٨٧.
٧٧- الكشاف: ٤/ ٧١٩.
٧٨- معاني النحو: ٣/ ٥٠.
٧٩- ينظر: المقتضب:٦/١؛ وشرح المفصل: ٨/ ٣٧؛ وشرح الرضي على الكافية: ٢/ ٣٧٩.
٨٠- ينظر: مغني اللبيب: ١/ ١٤٧؛ ومعاني النحو: ٣/ ٥٣.
٨١- شرح التصريح على التوضيح: ١٥/٢.
٨٢- الكشاف: ٤/ ٣٣٠؛ والبحر المحيط: ٨٥/٨؛ وروح المعاني: ٢٦/ ٨٢.
٨٣- ينظر: الصحاح (بخل): ٤/ ١٦٣٢؛ ومختار الصحاح (بخل): ٤٢.
٨٤- ينظر: الكشاف: ٤/ ٣٣٠؛ والبحر المحيط: ٨/ ٨٥؛ وروح المعاني: ٢٦/ ٨٢.
٨٥- روح المعاني: ٢٦/ ٨٢.

٨٦- معاني النحو: ٣/ ٥٣.
٨٧- ينظر: الجنى الداني: ٢٤٥؛ ومغني اللبيب: ١٤٧/١.
٨٨- الكتاب: ٤/ ٢٢٦- ٢٢٧؛ وينظر: الجنى الداني: ٢٤٥؛ ومغني اللبيب: ١٤٧/١.
٨٩- ينظر: الكتاب: ٤/ ٢٢٤؛ والجنى الداني: ٣٠٨؛ ومغني اللبيب: ٣١٨/١.
٩٠- من أسرار حروف الجر: ٣٢٢.
٩١- الكشاف: ٩٣/٢؛ وينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: ٢٤٣/٣.
٩٢- البحر المحيط: ٤/ ٢٧٧- ٢٧٨.
٩٣- التفسير الكبير: ٤٢/٤؛ وينظر: علل التعبير القرآني عند الرازي في التفسير الكبير: ٨٠.
٩٤- الكشاف: ٢/ ٩٣.
٩٥- ينظر: الاعجاز البياني في العدول النحوي: ١٤٥.
٩٦- ديوان عنترة بن شداد: ٢١٢؛ وشرح المعلقات السبع: للزوزني: ١٢٦؛ وينظر: الخصائص: ٣١٢/٢؛ والبحر المحيط: ٢٤٢/٦؛ ومغني اللبيب: ١٦٩/١.
٩٧- مختار الصحاح (سرح): ٣٧٤/١.
٩٨- ينظر: الخصائص: ٣١٣/٢؛ ومغني اللبيب: ١٦٨/٢؛ وشرح شواهد المغني: ٤٧٩/١.
٩٩- معاني القرآن للفراء: ٢/ ١٨٦- ١٨٧.
١٠٠- البرهان في علوم القرآن: ٤/ ١٠٩- ١١٠.
١٠١- شرح المفصل:٢١/٨؛ وينظر: الاقتضاب في شرح أدب الكتاب: ٢/ ٢٦٧.
١٠٢- ينظر: الكتاب: ٤/ ٢٢٦؛ والمقتضب: ٤٥/١؛ والخصائص: ٣١٣/٢.
١٠٣- ينظر: الكشاف: ٧٦/٣؛ وشرح المفصل: ٢٠/٨؛ والبحر المحيط: ٦/ ٢٤٢؛ ومغني اللبيب: ١١١/١؛ والبرهان في علوم القرآن: ٤/ ١٨٢.
١٠٤- روح المعاني: ١٦/ ٢٣١؛ وينظر: معاني النحو: ٧/٣.
١٠٥- البحر المحيط: ٦/ ٢٤٢- ٢٤٣؛ وينظر: تناوب حروف الجر: ٣٨.
١٠٦- الكشاف: ٥٨٢/٣؛ وينظر: البحر المحيط: ٢٦٨/٧؛ والبرهان في علوم القرآن: ٤/ ١٠٩؛ وروح المعاني: ٢٢/ ١٤٠.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

١- أسرار التكرار في القرآن المسمى: البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان: محمود بن حمزة الكرماني، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الفضيلة للنشر، القاهرة، ١٩٧٧م.

٢- الاشباه والنظائر في النحو: جلال الدين السيوطي، مراجعة وتقديم: د. فايز ترحيني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٤م.

٣- الاعجاز البياني في العدول النحوي السياقي في القرآن الكريم: (أطروحة دكتوراه): د. عبد الله علي الهتاري، جامعة اليرموك، الأردن، (د.ت).

٤- اعراب القرآن وبيانه: محيي الدين الدرويش، دار اليمامة للطباعة والنشر، دمشق، بيروت، ط٩، ٢٠٠٣م.

٥- اعراب القرآن: أبو جعفر النحاس، تحقيق: د. زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٩٨٨م.

٦- الاقتضاب في شرح أدب الكتاب: البطليوسي، تحقيق: مصطفى السقا ود. حامد عبد المجيد، منشورات دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط٢، ١٩٩٠م.

٧- أمالي المرتضى (غرر الفرائد ودرر القلائد): الشريف المرتضى، تحقيق: محمد أبي الفضل، دار إحياء الكتب، بيروت، ١٩٥٤م.

٨- الانتصاف من الكشاف: أحمد بن المنيِّر الإسكندري، مطبوع على هامش تفسير الكشاف.

٩- الإنصاف في مسائل الخلاف: أبو البركات الأنباري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٤، ١٩٦١م.

١٠- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: ابن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت.

١١- الإيضاح في علوم البلاغة: الخطيب القزويني، منشورات مكتبة النهضة، بغداد.